الطبيعة فى الصيف

جـــلاد الظلال . . .

« الجزيرة »

[الجزيرة فى هاجرة الصيف]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

دعوها على راحاته الخضر ترتمى ... فقد شفها برح الهجير المسمم
رمت فوقه أشجانها وتنفست ... إليه بشكوى عابر لمخيم
ولاذت به مفطورة ، فظلالها ... أسارير وجه اليائس المتجهم
وأدواحها ركبان دور أحالهم ... ضلال الفلا أصنام دير مهدم
تناجت بصمت أيقظت هجعاته ... بهامات ظهر صاحيات كنوم
هففن ، وذرفن الغنى صبابة
تخطفن إحساس الغصون المتكتم
وأغفت على حضن من الموج نائم ... يخيل الرؤى إلا على كل ملهم
هو النيل رباها على الحب والهوى ... وعانق شطيها عناق المتيم
وطوق جنبيها فلاحت غريبة ... على ساعديه من أسى البين تحتمى
وتحكى له أشجانها ، وحديثها ... يغني بلا عود ، ويشكو بلا فم
تضوع غراماً وانتظاراً وحيرة ... وشعراً إلى غير الهوى كم يغنم
يمر على محرابها الناس غفلاً ... كما مر بوذى على دار مسلم
وتسرى حواليها السفائن خشعاً ... سرى تائب فى كعبة الله محرم
تشق عباباً مات هسهاس موجه ... فلاح كمشتاق إلى نفسه ظمى
ولولا خطا تياره لحسبتها ... تماثيل طير فى سراب مدوم
لها شرع بيض الحواشى متونها ... كأعلام جيش مستجير مسلم
سكون ولكن فى حنيات صدره ... بقايا لهاث الشد فى قلب مجرم
وأقوى على الأسوار قيظ رأيته ... يطل بوجه الحانق المتندم
يلوح كجلاد الظلال وهذه ... سياط اللظي منه طوال التضرم
يكدن يحلن الظل وهماً وغصنه ... تهافت مفزوع عميق التوهم
تشاكى من التعذيب فرع وطائر ... وعشب فكان الروض إيحاء مأتم
وأوقف نعش الريح لا كف لاحد
ولا خطو بكاء كثير الترحم
تعرى عن الأستار ، فهو مكفن
بضوء على الأغصان حيران معجم

شواظ ولا نار ، ونار ولا لظى ... ورؤيا لهيب فى خيالى وفى دمى
وموقد عباد ين مات لهيبه ... وشبت أغانيه سعيراً بأعظمى
ركدت أرى والنار لم تبد سجدة ... مجوسية قامت على كل مجثم
وركباً من التهجيد تخفى وجوهه ... وتنظر من وجه الأثيم الملثم
وحائرة من عالم الزهر أطرقت ... حداداً على عطر الصباح اللملم
مقيدة ، ملهوفة ، ذات آهة ... مقيدة تبدو كطيف مجسم
تمد يديها للغدير ، وقلبه ... إلى عودها يجرى بكوب محطم
أظمآى تنادى ظامئاً ؟ من رآى الأسى
يغيث الأسى فى الخاطر المتألم ؟ !
لقد ضج صوت الجو برحاً ولهفة ... كما ضج سر الغيب صوت المنجم

وهاجرة يشوى بها الظل مثلها ... يقلب فى الأشواق قلب المتيم
لها وهوهات فى الربى خلت أنها ... فحيح أفاع من زوايا جهنم
رميت بها حران أحكى حكاية ... عن الصيف لم أنبس ولم أتكلم
ولكننى أروى عن الوحى كيفما ... روى لى بأطياف الخيال المهمهم
لنفسى أحكيها ، ومن هول سحرها
طلاسم سمع الغافلين المخمم ...
رأيت جحيماً لم تباركه فارس ... بعباد نار من بنيها مزمزم
ولم يرن طواف إلى قبساته ... بقلب من التسبيح شاد مرنم
ولا حدثت عنه الخرافات أهلها ... ولا خط عنه الوهم حرفاً بمرقم
له وهج يصلى الوجوه بحره ... ويفهق كاليحموم فى مسرب الدم
وألسنة بيض لهن رطانة ... بمثل لغاها كاهن لم يتمتم
كأن عفاريت الظهيرة طنبوا ... خياماً على هذا البساط المضرم
تنادوا بألفاظ صداها وساوس ... سمت معانيها بآذان أعجم ...
رجو غضوب الذر يكظم نقمة ... ويكتم غيظ الساخط المتبرم
شممت به ريح المعاصى سخينة ... محملة الأنفاس من كل مأثم
يفح كجراع الشكوك هواجساً ... لهن دبيب السم فى رأس أرقم
وألحد صوفى النخيل ، فما أرى ... به هزة كانت إلى النسك تنتمى
لقد كان رعاش الأيادى تبتلاً ... إلى الله لم يدنس ، ولم يتأثم
ولم يجن ذنباً يبتغي عنه توبة ... مع الناس يدعوها بكف ومعصم
أما قام فى الفجر الرطيب مؤذناً ... يصيح بتكبير على العقل مبهم
فما باله أصغى وأصغت ظلاله ... كمنتظر حكم القضاء المحتم !
وألقى على الأفق المصفد نظرة ... كأصفاد عيسى والتفاتات مريم
وأزهق إحساس الطبيعة ، فاغتدت
كحزن على كتم الشكايات مرغم